



## وجهة تربوية لدراسة السيرة النبوية

فاروق عبد المجيد حمود السامرني

### ملخص البحث:

يركز البحث على جانب مهم من جوانب التأصيل في مسيرتنا التربوية، حيث تمثل السيرة النبوية الركيزة الهامة للفكر التربوي الإسلامي، وتأتي أهمية دراستها من وجهة تربوية في ضوء مصداقية التعامل الشامل مع معطيات تراثنا الإسلامي - بقصد الرقي بالواقع من البعد التنظيري، إلى الأداء الأمثل، ليلتقي الماضي بالحاضر في أجواء تستنير بنور الهداية الإلهية، وتبين فيها معالم الطريق في ظلال السيرة النبوية المطهرة.

ومن هنا فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى إيجاد وجهة تربوية يأمل الباحث من خلالها مساهمة يسيرة في إظهار التأثير التربوي لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في حياة الناس، ذلك أنّ وقائع أحداث السيرة تتجدّد في حياتنا - من حيث العبرة والعظة والاقْتداء -

لترسم لنا معالم الهدى لمن أراد أن يسلك طريق النجاة والفوز. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>.

وبُغية تحقيق هذا الهدف تناول الباحث الحديث عن موضوعات عدّة كان من أبرزها: أثر التفاعل الإيماني في كتابة السيرة النبوية، وضرورة واقعية النظرة التربوية لسلمات جيل الصحابة رضي الله عنهم، وأثر العقيدة الإسلامية في الدافعية السلوكية لديهم. إضافة إلى موضوعات أخرى لها أهمية في تحقيق الهدف المذكور.

#### المقدمة:

لقد أضحت وجهة التأصيل التربوي الإسلامي من القضايا التي شغلت بال كثير من المفكرين الإسلاميين، وبنات أهميتها تطرق أذهان المجددين في الفكر التربوي الإسلامي، فشاع هذا الاتجاه بين العامة والخاصة، حيث أنّ تراثنا التربوي الإسلامي يضمّ كمّاً هائلاً من المعارف، تنقصها النظرة الموضوعية في التعامل مع معطياتها، ويفتقر إلى تتبع دقيق وفق منهجية علمية، تحقق الفائدة المرجوة، لذا أحدث واقع التعامل معه، هوة كبيرة بين معطيات الأصالة ومتطلبات النهوض، وأصبح من الضروري وضع تصوّرات تربوية لكتابة السيرة النبوية، عسى أن يكون هذا العمل باكورة لمنهج علمي سديد للتعامل مع معطيات السيرة النبوية المشرفة، وقيمها التربوية، التي تتجاوز

الحدود التاريخية للحدث، إلى شفافية الفكر التربوي الإسلامي، وآفاقه الواسعة.

### حدود البحث:

تصعب في مثل هذه الدراسات الإحاطة الشاملة بمعطيات السيرة النبوية المطهرة، وكذلك يتعدّر على الباحث تناول جميع الجهات التربوية التي تحدّدت في ظلال السيرة، مثل: (الوجهة التربوية، الوجهة الاقتصادية، الوجهة السياسية، الوجهة الاجتماعية، الوجهة الجهادية، ...)، لذا اقتضت في دراستي هذه على تناول (الوجهة التربوية في دراسة السيرة النبوية) باعتبارها المجال الألتصق لضبط حركة المؤمن وسلوكه في ظلال منهج الله، الذي تُرجم بواقعية مثلى في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### أهميّة السيرة النبوية ووجهتها التربوية:

لقد زحرت السيرة النبوية العطرة بمواقف شاملة لمناحي الحياة، وموجهة لحركة المؤمن خلال رحلته في عالم الدنيا، ومن ثمّ امتدّت - بشموليتها واتساع آفاقها - لتشمل إعداد الإنسان للحياة الأخروية، والسعادة الدائمة؛ لذا كان لا بدّ من دراسة السيرة النبوية وفق منهج تربويّ، باعتبارها واقعاً إيمانياً فاعلاً يُحقّق لنا الاستقامة في ظلال منهج الله، من غير عوج أو انحراف.

وتمثّل السيرة النبوية مصدراً هاماً في حياة المسلمين، فهي تعكس السلوك الأمثل لتعاليم الإسلام الذي تمثّل في أسوة المصطفى

محمد عليه الصلاة والسلام. قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -: "كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن" ويقول الإمام ابن حجر في بيانه للعلوم الشرعية: "ولا يرتاب عاقل في أنّ مدارها على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن باقي العلوم إمّا آلات لفهمها، وهي الضالّة المطلوبة، أو أجنبيّة عنهما، وهي الضارّة المغلوبة"<sup>(٢)</sup>.

فبيان الوجهة التربوية في دراسة السيرة النبوية المطهرة، وتتبع فاعلية الصحابة في ارساء قواعد الدين الجديد، يوضح أثر الإسلام في تربية أتباعه، وإعدادهم لحمل الأمانة وتحقيق أهدافها. فالحديث التاريخي إذا جُرد من مضمونه التربوي، فقد فاعليته في العبرة والعظة، وفي تحسين الأداء وتقوم السلوك.

لقد مثلت السيرة النبوية في حياة الرعيل الأول (جيل الصحابة رضي الله عنهم) دروساً عملية تطبيقية لقيم العقيدة والشريعة الإسلامية، ووحدة قياس تربوي يُمكن لأتباع الدين الإسلامي أن يقوموا حياتهم وسلوكهم وممارساتهم من خلالها.

وأحدث المنهج التربوي الذي رسم معالمه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغييراً هائلاً في حياة العرب، وأدخلهم مدخلاً كريماً في سجلّ التاريخ الإنساني. فعلى الرغم من تأثرهم بالطبيعة الجغرافية والمناخية، وما صاحب ذلك من تقلّب في أنماط حياتهم

الاجتماعية والسياسية، إلا أنّ القيم التربويّة التي حملتها الرسالة الجديدة أحدثت آثاراً إيجابية لانظير لها في عطاءات الأمم. فمن غير المعقول أن يصبح البدوي الذي أظلته خيمة وبر، ومازجت أنفاسه رمال الصحراء، سيّد الحضارة، وسب رقيّها واتساع آفاقها!! لذا فإنّ القرآن الكريم يقرّر حقيقة النقلة الحضارية التي شهدنا المجتمع العربي بعد أن من الله عليه بظهور الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

### التفاعل الإيماني في كتابة السيرة النبوية:

إنّ جميع الدراسات حول السيرة النبوية لا يمكن أن تقارب الحقيقة التي تحفظ لها مكانتها وهبتها، ما لم يكن أصحاب تلك الدراسات يمتلكون التفاعل الإيماني الصادق مع كتاب الله تعالى، ومع سيرة نبيّه صلى الله عليه وسلم، ويدركون هبة الأحداث التي صانها الوحي الإلهي، وصوبها المنهج التربوي الرباني الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup> فما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقولّ خلاف ما نزل عليه من كلام الله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾<sup>(٦)</sup> وما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتجاوز في الأداء حدود المطلب

الإلهي حيث كان "خلقه القرآن"، فعن سعد بن هشام بن عامر - رضي الله عنه - قال: "أتيت عائشة - رضي الله عنها - فقلت يا أم المؤمنين أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ قول الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٧)</sup> قلت: فإني أريد أن أتبتل، قالت: لاتفعل. أما تقرأ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٨)</sup> فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وُلد له"<sup>(٩)</sup>.

وبسبب عدم توفر القاعدة الإيمانية التي تلزم من يتصدّر الحديث عن التاريخ الإسلامي بشكل عام، والسيرة النبوية على وجه الخصوص، نجد أنّ كثيراً من المستشرقين شطّوا في تصوراتهم للأحداث، وفي حكمهم على معطيات الفكر الإسلامي عبر قرونه، فقصروا عن فهم العديد من الدوافع السلوكية لدى أتباع الدين الإسلامي. بل إنّ بعضهم تأثّر بشكل كبير بالمظاهر الحضارية أكثر ممّا تأثّر بالعوامل والدوافع الإيمانية كما ظهر ذلك في كتاب آدم متر (الحضارة الإسلامية) حيث يرى أنّ القرن الرابع يمثل أوج عطاء الحضارة الإسلامية، وأنّه عصر النهضة في الإسلام<sup>(١٠)</sup>.

نحن لاننكر مدى توسّع دائرة الفكر التربوي الإسلامي في هذا القرن، لكن لا يمكن اعتبار هذا القرن في إطار مذهب إليه المؤرخ الغربي بأنّه أوج العطاء الحضاري، ذلك لأنّ كمال العطاء الحضاري في الإسلام يكون عندما يتناغم ويتطابق المنهج مع الواقع،

والقيم مع الأداء، وهذا الأمر بلغ أوجه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كمال المنهج تحت مظلة الوحي الإلهي، وكمال الأداء داخل محيطه، وانضباط السلوك وفق توجيهاته، ومن ثمّ في قرون الخيرية التي حضيت بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم إيمانهم، وإيمانهم شهادتهم" (١١)، إن مقياس البعد الحضاري، ليس فقط في اتساع عناصره، وإنما بجعلها فاعلة في حياة البشر، لترتقي بها من حسن التنظير إلى كمال الأداء، ومن مثالية الفكر إلى واقعية التطبيق. فليست العبرة بالتخمة المعرفية، وإنما القدرة على تفرغها في أرضية الواقع.

لقد كانت حركة الصحابة رضي الله عنهم في ضلال المنهج الرباني تتميز بالترجمة العملية المتدرجة لمتطلبات عناصره. فقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: "كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ" (١٢). وفي قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (١٣) قال ابن عباس: "علماء فقهاء ويقال الرباني من يربي الناس بصغار العلم قبل كباره" (١٤).

إنه لمن المتعذّر على غير المؤمن أن يتذوّق القيم التربوية التي تمتد في ضلال أحداث السيرة النبوية، بل ومن الصعب إدراك دوافع السلوك عند أفراد ذلك المجتمع الرباني الفريد من خلال الوجهة التاريخية المجرّدة، فالوصف التاريخي للحدث قد يرسم حدوده،

ويصور معالمه، لكن في إطار هذه المنهجية يتعذر رسم الأبعاد الإيمانية والأهداف التربوية الدعوية التي كانت تمثل محور الأحداث، ودوافعها الفاعلة.

واقعية النظرة التربوية لسماوات جيل الصحابة رضي الله عنهم:

من الخطأ أن نتصور جيل الصحابة خارج بشريتهم، ولزوم صفاتها، قال تعالى مخاطباً إياهم: ﴿الآن خففَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا...﴾<sup>(١٥)</sup> وقال: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ...﴾<sup>(١٦)</sup> فعلى الرغم من أن واقع الصحابة يرسم الصورة المثالية في إخلاص النيات، وصدق التوجه الخالص لله، لكن ذلك لا ينفي عن بعضهم تأثره بالعوامل المادية، لذلك كشف القرآن الكريم في حديثه عن جانب من أحداث (معركة أحد) عن بعض الثغرات التي حالت دون اكتمال النصر، قال تعالى مخاطباً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١٧)</sup> (١٨).



إن المجتمع البشري مهما بلغ في سلم الطاعات، نجد فيه الصفوة التي تلتزم المثل العليا، وفيه دون ذلك ممن يأخذ بالحد الأدنى الذي يحقق صفة الإسلام، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إذا صلّيت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرّمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئا أَدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قال: نعم، قال والله لا أزيد على ذلك شيئا<sup>(١٩)</sup>.

ولمّا كان مجتمع الصحابة مجتمعاً بشرياً فقد راعى الحق سبحانه وتعالى ذلك في إطار مقتضى التغيير، فكان لتدرج نزول الآيات القرآنية على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أثر واضح في حياتهم، ممّا أدّى إلى البناء التربوي المنتظم والمتناسق مع طبيعة المراحل في العهدين، المكي والمدني.

ومن هنا فقد أكد الإسلام على أهمية التدرج المرحلي في بناء الشخصية الإسلامية، كي يبقى التوازن والتنسيق قائما بين مقدار الاكتساب، وبين طبيعة البشر التي أودعها الله فيهم. قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - : "إنما نزل - أي القرآن - أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا. لقد نزل بمكة على محمد - صلى الله عليه وسلم - وإني لجارية

أَلْعَبُ، ﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (٢٠). وما نزلت  
سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده (٢١).

وعندما يكون الخلل في ثمار العمل الذي يعكسه أداء  
الصحابة يأتي التوجيه القرآني ليرسم لهم معالم طريق الهداية،  
ويستدرك التأثير السلبي للمؤثرات التي تحول دون كمال الأداء،  
صيانة لجيل التنزيل ومجتمع القدوة، وهذا الذي حدث يوم أحد  
حينما عزا الباري عزوجل الأخطاء التي اعترضت الأداء الجهادي  
لبعض الصحابة إلى عوامل دنيوية، قال سبحانه وتعالى مخاطباً إياهم:  
﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (٢٢) فأساس الخلل  
في الأداء مردّه إلى محبة الدنيا التي أسرت - في لحظة الضعف  
البشري - بعض القلوب المؤمنة، وذلك في موطن البلاء والاختبار.

وفي موقف آخر كانت إشارة القرآن الكريم واضحة جليّة في  
تعليل تردد بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
الخروج إلى غزوة تبوك، حيث غلبت الثقله، ومغريات الحياة، قال  
تعالى معاتباً من تخلف عن المعركة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ  
إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ  
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ  
إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ  
شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٣) (٢٤).

## السيرة النبوية وحدة قياس تربوي:

تمثل السيرة النبوية وحدة قياس تربوي بسبب تطابق عناصر المنهج مع الأداء البشري لمقتضيات المنهج الرباني، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن، وقد أمرنا سبحانه وتعالى أن نجعله القدوة والأسوة الحسنة لنا، وذلك بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢٥)</sup> وأصحابه الكرام - رضوان الله تعالى عليهم - خير أجيال المكلفين، تحققت في حياتهم جميع مستلزمات تطبيق منهج الله، قال تعالى في وصفهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(٢٦)</sup> وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢٧)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"<sup>(٢٨)</sup>.

ومن هنا تكمن أهمية دراسة السيرة النبوية باعتبارها وحدة قياس تربوي، لأجل تحسين الأداء وبعث روح الفاعلية في الأتباع، والارتقاء بالسلوك الإنساني إلى أعلى مراتبه. هذه الأداة التي اعتبرناها وحدة قياس، يمكن أن تساهم بشكل كبير في تقويم الحياة العملية للمجتمعات الإسلامية، وقياس مدى ملاءمتها لمقتضيات المنهج الإلهي الذي تبلور في عصر السيرة بأكمل وجه قدر له أن يكون في حياة البشرية.

## أثر العقيدة الإسلامية في الدافعية السلوكية لجيل الصحابة رضي الله عنهم:

لقد كان الدافع والمحرك للسلوك عند المسلمين في صدر الإسلام عقائدياً متأثر بالثواب الأخروي، والتطلع إلى ما عند الله تبارك وتعالى. فكان التوجه الذاتي إلى إخلاص النية لله تعالى قائماً، يتطلع إلى إشراقته صفوة المؤمنين الذين يتبعون الله والدار الآخرة.

ينبغي أن لا يحول شيء - مهما ارتقى في سلم المغريات الدنيوية - دون الأداء الأمثل الذي ينسجم مع بواعث الإيمان الصادق، ليحقق العبد من خلاله مصداقية العبودية الحقة للباري عزوجل، وليتميز مفترق الطريق بين ما كان لله، وبين ما هو لسواه أياً كان ذلك.

كيف يمكن أن نفسر الأبعاد الإيمانية للدافعية التي جعلت صحابياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي تلك التمرات في لحظة الحاجة إليها ليتسارع إلى طاحونة الجهاد، وقلب المعركة، وهو يقول: بَخِ بَخِ، إنها لحياة طويلة. وذلك يوم بدر عندما دنا المشركون من مكان بدر، وتقابل الجمعان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاطباً أصحابه: "قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عمير بن الحُمَام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض، قال: نعم، قال: بَخِ بَخِ. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحمك على قولك بَخِ بَخِ. قال: لا والله

يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال صلى الله عليه وسلم: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل (٢٩).

وهكذا غاص ذلك الصحابي المجاهد في ساحة الوغى بين أمواج الرجال، معتقداً بما بشر به المصطفى صلى الله عليه وسلم، مندفعاً بصدق اعتقاده ليقاتل أئمة الكفر، ولينال كرم الاستشهاد في سبيل الله؟

كيف نفسر تلك الدافعية التي حرّكت من يرغب في الجهاد مع رسول الله، ويتوسّلون برسول الله أن يسمح لهم، فلا يجد ما يحملهم عليه، فيتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً (٣٠). قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٣١).

إنها العقيدة الإسلامية التي أوقدت شعلة الإيمان في قلب العبد، ليشرق بقبس من نور الله، فيصير منارة في الأرض يستقبل نور السماء، فيصبح العبد رهينة مراد معبوده، والمحبّ أسير رغبة محبوبه، والنفس الغالية رخيصة عندما تفنى لأجل نصره الحق، وعلوّ كلمته.

إنها الصورة الحيّة المعبرة عن المقاصد الصادقة التي حرّكتها  
كوا من العقيدة، ليحس أصحابها بالألم الشديد بسبب حرمانهم من  
شرف الشهادة في سبيل الله.

### أهمية المنهج النبوي في الإعداد الأمثل:

لقد ساهم المنهج التربوي الإسلامي الذي حدّد معالمه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صياغة وإعداد الإنسان الصالح  
المصلح، الذي يحمل في شخصيته وسريرته المثل العليا التي زكت  
بصاحبها فوق اعتبارات المصالح الذاتية، والأنانية الفردية، لأجل  
حصر جميع التوجهات والأهداف في دائرة المصالح الربانية.

روى الطبري في تاريخه خبر مفاوضة المغيرة بن شعبة  
لرستم، ورفض المغيرة العروض المادية التي قدمها رستم مقابل أن  
يتخلّى المسلمون عن القتال، فردّها المغيرة، وقال له: "أتيناكم بأمر  
ربنا نجاهد في سبيله، ننفذ أمره، وننجز موعوده، وندعوكم إلى  
الإسلام وحكمه، فإن أحببتمونا تركناكم ورجعنا وخلفنا فيكم كتاب  
الله، وإن أبيتم لم يحل لنا إلا أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا نفوسكم  
بالجزية، فإن فعلتم وإلا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم  
وأموالكم. فاقبلوا نصيحتنا فوالله لإسلامكم أحبّ إلينا من  
غنائكم" (٣٢).

هذه الصورة المثاليّة كانت تُمثل واقعاً حقيقيّاً عاشه الرعيل  
الأول، عبّرت عن إشراقه القيم والمثل التربوية العليا، وعكست روح

المنهج التربوي الذي خطّه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتباعه من خلال سيرته وتوجيهاته. فمن الضروري أن تُوجّه مثل هذه المواقف لتصب في دائرة المصالح التربوية المتصلة بالإعداد الأمثل للجيل المسلم، وأثر المنهج التربوي الإسلامي في تحرير الأفراد من عبودية المصالح الماديّة، كي تعلو مصلحة الحق، وتسود قيمه.

### أسلوب التشويق في عرض أحداث السيرة:

ينبغي أن لا نُجرّد الأحداث عن أسلوب مشوق ليتفاعل القارئ مع عناصره، دون ملل أو كلال. ولا يمنع من أن نجعل ذلك في إطار الأسلوب الأدبي الذي يرسم شفافية الموقف، وروح الحدث الفاعلة في ميدان النفس. ذلك أنّ الإطار التاريخي المجرّد في رسم الحدث لا يجعل القارئ يرتع في ظلالٍ وافر، فالعرض التربوي للحدث، وتوجيه عناصره لتصبّ في الهدف الذي سيق من أجله، يُعزّز وجهة التأصيل، والأصالة في نفوس المسلمين، ليلتقي الحاضر بالماضي من غير فوارق زمنيّة قد تحول دون الشعور بفاعلية القيم التي عكسها ديننا الحنيف في حياة الأجيال المؤمنة.

## هوامش البحث

- ١- الأحزاب، آية: ٢١.
- ٢- ابن حجر، فتح الباري، ٥/١.
- ٣- الأنفال، آية: ٢٦.
- ٤- آل عمران، آية: ١٠٣.
- ٥- فصلت، آية: ٤٢.
- ٦- الحاقّة، آية: ٤٤-٤٧.
- ٧- القلم، آية: ٤.
- ٨- الأحزاب، آية: ٢١.
- ٩- الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث: ٢٤٠٨٠.
- ١٠- عنوان كتابه: (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام) حيث أنّ وجهة المؤلف في تناول بعض العناصر التي تعكس وجهة الحضارة الإسلامية، تؤكد ما أشرنا إليه.
- ١١- البخاري، الصحيح، (واللفظ له) كتاب الرقائق، حديث رقم (٦٤٢٩) ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم (٢٥٣٣) والترمذي، السنن، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٨٥٩)، وأحمد، المسند، حديث رقم ٤١٦٢.
- ١٢- الطبري - جامع البيان ٨٠/١، ابن كثير، تفسير القرآن ٣/١ (المقدمة).
- ١٣- آل عمران، آية: ٧٩.
- ١٤- البخاري - الصحيح، كتاب العلم. باب: العلم قبل العمل والقول ٣٧/١.
- ١٥- الأنفال، آية: ٦٦.
- ١٦- البقرة، آية: ١٨٧.
- ١٧- آل عمران، آية: ١٥٢.
- ١٨- أنظر تفسير الآية في: ابن كثير، مج ١، وسيد قطب، في ظلال القرآن مج ١.



- ١٩- الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، حديث رقم ١٥، والإمام أحمد، المسند، باقي مسند المكثرين، حديث رقم ١٤٣٣٧. وفي مسند الإمام أحمد ورد أنّ السائل هو النعمان بن قوئل. (أنظر نفس المصدر المشار إليه في المتن).
- ٢٠- القمر، آية: ٤٦.
- ٢١- البخاري - الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، رقم الحديث ٤٩٩٣.
- ٢٢- آل عمران، آية: ١٥٢.
- ٢٣- التوبة، آية: ٣٨-٣٩.
- ٢٤- أنظر: سيد قطب، ١٦٥٥/٣، وابن كثير، تفسير الآية.
- ٢٥- الأحزاب، آية: ٢١.
- ٢٦- آل عمران، آية: ١١٠.
- ٢٧- البقرة، آية: ١٤٣.
- ٢٨- سبق تخريجه.
- ٢٩- الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الأمانة، حديث رقم (١٩٠١) ورواه أبو داؤد، السنن، كتاب الجهاد، حديث رقم (٢٦١٨)، وكذلك الإمام أحمد، المسند، باقي مسند المكثرين، حديث رقم (١١٩٩٠).
- ٣٠- أنظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٦٨٥/٣.
- ٣١- التوبة، آية: ٩٢.
- ٣٢- الطبري، تاريخ، ٥٢٠/٣، ٥٢٨.

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.
- ٣- آدم متز، (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام) نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، ط٥، بيروت، لبنان.
- ٤- أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، مكتبة العلوم والحكم في المدينة المنورة.
- ٥- البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٩٨٧م.
- ٦- الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر، ١٩٨٣م.
- ٧- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ٨- أبو داؤد، (ت ٢٧٥هـ) سنن أبي داؤد، دار إحياء التراث العربي، دار الكتب العلمية.
- ٩- سيّد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.
- ١٠- الطبري، جامع البيان، مطبعة الحلبي، مصر، ط٣، ١٩٦٨م.
- ١١- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت.
- ١٢- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢م.
- ١٣- ابن هشام، السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي.